مبدأ المشاركة الجماعية في مصر في العصر الرومانى (٣٠ق.م – ٢٨٤ م)

دراسة تاريخية في ضوء الأوراق البردية

الباحثة/ أمل جابر يوسف أحمد [١]

كلية الآداب – جامعة سوهاج

مقدمة :-

الحمد لله رافع السبع الشداد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد،،،،،

يتناول هذا البحث موضوع العمل بمبدأ المشاركة الجماعية في مصر في العصر الروماني (٣٠ ق.م –٢٨٤) دراسة تاريخية في ضوء الأوراق البردية. حيث كان الدور الذي أنيط بمصر منذ أن ضمها الإمبراطور أغسطس إلي الإمبراطورية الرومانية عام ٣٠ق.م. هو دور الضامن لتوفير المؤن والغلال لمدينة روما. فقد كانت مصر تشحن إلي روما سنوياً ثلث الحبوب التي تستهلكها

[١] مدرس مساعد بقسم التاريخ والحضارة، فرع التاريخ اليوناني والروماني، كلية الآداب، جامعة سوهاج.

تلك المدينة، وتقدر هذه الكمية ب ٦ ملايين أردب سنوياً أي ما يعادل حوالي ١٣٥ طن [٢].

ونتيجة لهذا الدور المحوري الذي كانت تلعبه مصر في حياة الإمبراطورية الرومانية. كانت الإدارة الرومانية في مصر حريصة كل الحرص علي عدم بقاء قطعة أرض واحدة بدون زراعة، لأن بقاء أي قطعة أرض علي هذا النحو بدون زراعة كان يعني عدم جباية ضرائب عليها. ولذلك فإن الأرض التي لم يكن يتقدم أحد لاستئجارها وزراعتها، أو التي يهجرها مزارعوها ويهربون منها كانت الدولة تلزم أقرب المزارعين بزراعتها أو تفرض علي سكان القرية بأكملها الاشتراك في زراعتها. حيث كان يقوم كتاب هذه القري وكبار السن بها بمهمة تقسيم زراعة هذه الأراضي علي باقي سكان القرية [٣].

أما عن طبيعة ونوعية هذه الأراضي فإنها في أغلب الأحوال تكون عبارة عن أراضي فقيرة الإنتاج تقع عند أطراف الوادي. حيث كان أصحابها يتركونها عمداً لتبور لأن ما يتبقى منها بعد تسديد الضرائب المفروضة عليها من قبل الإدارة الرومانية في مصر لم يكن أو بمعني أصح لا يساوي المجهود الذي يبذل فيها. وكان أصحابها في الغالب يتركونها ويفرون هاربين . وإزاء تزايد هذه الظاهرة لجأت إدارة الإمبراطورية الرومانية في مصر إلي تحميل زراعة هذه

---

[٢] نفتالي لويس ، *مصر الرومانية الحياة في مصر تحت حكم الرومان* ، ص ١٩٤.

[٣] جونيفيف هوسون ودومينيك فالبيل ، *الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة إلي الأباطرة الرومان* ، ترجمة فوزي الدهان ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٢٨٥.

الأراضي البور علي الجيران، وإضافة ما كان عليها من ضرائب علي كافة دافعي الضرائب في القرية. بحيث يتحمل كل فرد نصيبه منها. أو يشترك أكثر من شخص في زراعة هذه الأراضي ودفع ما عليها من ضرائب[٤].

وكان الفلاحون الذين يجبرون علي زراعة هذه الأراضي ساخطين. لأن إنتاجها ضعيف والوصول إليها صعب وعسير. وهذا الأمر يفسر وجود شرط يضاف في بعض عقود الإيجار للأراضي الزراعية إلا وهو:- "أن هذه الأرض المعروضة للإيجار أو البيع خالية من تحميل أرض مهجورة مفروض علي أصحابها زراعتها " . كنوع من الإغراء أو التميز. وقد كان كاتب القرية وكبار شيوخها مسئولين عن حصر وتوزيع مساحات هذه الأراضي التي يهجرها أصحابها ويفرون منها. ويقومون بتوزيعها علي جيرانهم لزراعتها تطبيقاً لمبدأ المشاركة الجماعية الذي كانت تعمل به الإدارة الرومانية كحل لمشكلة هجر السكان للأراضي، والأراضي التي لم يتقدم أحد لزراعتها بالإيجار [٥].

وتمدنا بعض البرديات بنماذج لهذه الحالات ومنها ما جاء في إحدى البرديات [٦] التي يرجع تاريخها إلي عام ٢٠٧م. والتي يتقدم بها خمسة وعشرون

---

[٤] سيد الناصري : *الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار (٣٠ق.م – ٦٤١م)* ، دار النهضة العربية ،١٩٩٥، ص ٣٥٦-٣٥٧.

[٥] أحمد صالح احمد ، *تاريخ النظام الضريبي في مصر من الإسكندر الأكبر إلي الفتح العربي* ، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية ، جامعة المنوفية ، كلية الحقوق ، مجلد ٢٧ عدد ٤٥ ، مايو ٢٠١٧، ص ٢٧٣.

[6] *SB* , I , 4284, (A.D 207, Arsinoite)

مزارعاً نيابة عن مزارعي أراضي الدولة في قرية " سوكنوبايونيسوس " (دمي السباع) إلي حاكم إقليمهم بشكوي ورد بها علي لسانهم التالي :-

" لقد أجبرنا علي العمل في أراضي الشاطئ التي انحسرت عنها مياه الفيضان مؤخرا، كل منا بكل طاقته، غير أن رجلاً يدعي " أورسيوس " قاسي وعنيد في صحبة أربعة من أشقائه قاموا بالهجوم علينا ومنعونا من أداء عملنا، من بذر البذور. ولهذا نقدم لكم هذا البلاغ عن مخالفتهم للقانون، كما أنهم لا يسددون ما عليهم من ضرائب من قمح أو مال ولم يتولوا أبداً أي عمل إلزامي لأنهم يرهبون كل من يتولى منصب كاتب القرية. ولقد دفعتنا الحاجة للجوء اليكم طلباً لحمايتكم ونسألكم أن تأمروا باستدعائهم ليمتثلوا أمامكم وتستمع إلي قضيتنا ضدهم، فإذا حصلنا علي حقنا بمساعدتكم استطعنا أن نكرس أنفسنا للأرض وأداء الخدمة الإلزامية المفروضة علينا، ويسدد أورسيوس وأخوته ما عليهم من ضرائب ويؤدون ما عليهم من خدمات إلزامية وحتي نكون جميعاً مسئولين بقدر متساوي عن فلاحة الأرض موضوع النزاع، وحتي نتمكن من العيش والإقامة في قريتنا بأمان . شكراً لكم سلام ....."

ومن خلال هذه البردية يتضح لنا رغم رضوخ سكان القرية علي العمل في أراضي الشاطئ التي انحسرت عنها مياه الفيضان مؤخرا عملاً بمبدأ المشاركة الجماعية الذي كانت تطبقه الإدارة الرومانية في مصر إلا أن الإدارة

لم توفر لهم القدر الكاف من الحماية الذي يمكنهم من القيام بعملهم في أمان وسلام .

كما جاء بإحدى البرديات [٧] التي يرجع تاريخها إلي عام ٣٣١-٣٣٢م. والتي بها يقدم ثلاثة أشخاص يمثلون رابطة قرية فيلادلفيا بالفيوم التماساً إلي والي مصر " فيلافيوس هيجينوس". خلاصة هذا الالتماس يتمثل في أن هؤلاء الثلاثة يساهمون بمفردهم في الاضطلاع بمسئولية خمسمائة أرورة من الأراضي الزراعية التي لا تصلها مياه الري بصورة كاملة ، وذلك رغم أن قائمة الأشخاص المسجلين بالقرية تضم خمسة وعشرين رجلاً، من بينهم رجال خزانه ، ونتيجة لهذه الأوضاع فإن حال القرية قد صار بائساً مزرياً من جراء ذلك[٨] .

ولذلك توجه هؤلاء الرجال الثلاثة المتبقون للبحث عن رفاقهم من أهل القرية الذين فروا بعائلاتهم إلي مقاطعات أخري مجاورة. وقد أسفر بحثهم هذا عن العثور علي ستة منهم كانوا قد لأذوا مع أسرهم بضيعة أحد الرجال الأقوياء في مقاطعة أوكسيرينخوس الذي لم يسمح هو ورجالة لممثلي قرية فيلادلفيا بمجرد الاقتراب من بوابة الضيعة ووجهوا لهم الإهانات. كما عثروا في مقاطعة كينوبوليس علي ثلاثة آخرون من رفاقهم. وأهل قريتهم كانوا مسئولين عن زراعة مائة أرورة ويزيد من الأراضي الملكية في قريتهم [٩].

---

[7] P . *Tumer* , 44, (A.D 331-332 – Theadelphia . Arsinoite)
[8] P . *Tumer* , 44, LL. 3-7, (A.D 331-332 – Theadelphia . Arsinoite)
[9] P . *Tumer* , 44, LL. 7-14, (A.D 331-332 – Theadelphia . Arsinoite)

ولهذا السبب طلب ممثلو القرية من الوالي في التماسهم أن يمدهم بيد العون والمساعدة وذلك عن طريق أن يصدر أوامره لمسئولي الآمن في تلك المناطق التي فر إليها رفاقهم لتسليمهم لهم مع أسرهم حتي يتمكنوا من البقاء في قريتهم والقيام بواجبهم في مبدأ المشاركة الجماعية في زراعة الأراضي المكلفون بزراعتها.

ولم يكن تطبيق مبدأ المشاركة الجماعية في مصر في العصر الروماني قاصراً علي الأراضي الزراعية التي هجرها أهلها ولا علي الأراضي التي لم يتقدم أحد لزراعتها بالإيجار وإنما أمتد أيضاً إلي الضرائب. فالنظام الضريبي في مصر كولاية رومانية كان من الدعائم الرئيسية التي استندت عليها روما في نظامها الاقتصادي. ومن هنا ظهرت ضريبة " العجز في تسديد الضرائب " وهي ضريبة مؤقتة ومتغيرة فرضت بسبب هروب الفلاحين دون دفع ما عليهم من ضرائب مما سبب عجزاً في قوائم الدخل من الضريبة العامة[١٠].

فظاهرة دافعي الضرائب المفلسين اللذين كانت تدفعهم حالتهم اليائسة للهروب كانت شديدة جداً خلال العصر الروماني. وما يؤيد ذلك ما تمدنا به إحدى البرديات [١١] والتي توضح لنا درجة خطورة هذه الظاهرة ومدي أنتشارها حيث تشير إلي أن الجباه الذين كانوا يحصلون ضريبة الرأس في فيلادلفيا

---

[١٠] سيد الناصري ، *المرجع السابق* ، ص٣٤٣.

[11] *P.OXY* , 2669, (A.D4 1-54) = *P. Ryl*, 595 (A.D .57 Arsinoite)

وخمس قري مجاورة رفعوا التماساً إلي حاكم مصر راجين تعديل عقد التزامهم وتبريراً لطلبهم يذكرون في التماسهم التالي :-

" تحولت القري المذكورة سابقاً من حالة العمار السكاني السابقة إلي أعداد صغيرة بسبب هروب بعض الرجال دون أن يتركون خلفهم أية ممتلكات ، وموت آخرين ليس لهم أقارب . لذلك نحن كجباه نواجه خطر ترك مهمة جمع الضرائب بسبب العجز الشديد في الموارد ""

ومن خلال هذا الالتماس يتضح لنا الوضع الذي وصلت له بعض القري التي هجرها أهلها وفروا منها تاركين خلفهم حياتهم ومعيشتهم بسبب شدة الضرائب و الالتزامات المفروضة عليهم . كما أن هذا التصرف الذي أقدم عليه الفلاحون وهو الهروب من موطنهم وضع جباة الضرائب في مازق شديد مما أضطرهم إلي تقديم مثل هذا الالتماس . لكن نحن هنا لا نستبعد أن يكون هؤلاء الجباه قد بالغوا في تصوير حال القري وعجزهم في تحصيل الضرائب محاولين أن يحصلوا علي اعانة من قبل الإدارة .

وعندما كان شخص ما يهرب كان علي أقرب أقربائه أو أي جماعة تعلم بغيابه وهروبه أن تبلغ عن غيابه وفيما يلي نعرض لنموذج لمثل هذه البلاغات ، والذي يعود تاريخه إلي النصف الأول من القرن الأول الميلادي حيث جاء به التالي :-

" إلي أبوللونيوس Απολλονιος وديديموس Διδυμος كتبة أضاحية وقرية أوكسيرينخوس من ميناندروس Μενανδρος وهيراكس Ηαρβιχηις ابني هاربيخيس Ηιεραξ نؤد أن نخطركم بأن : أرسينوفيس Ορσενουφις بن مينخيس Μενχες صانع النحاس والمسجل في تعداد السكان ضمن سكان المنزل الذي ورثناه عن أمنا ونمتلكه في طريق اسراب الإوز ، فر إلي مكان ما منذ بعض الوقت ، ولم يترك خلفه أي ممتلكات . ونحن من جانبنا نقسم بتيبريوس كلوديوس قيصر أغسطس جيرمانيكوس إمبراطورنا أن أورسنوفيس قد فر . وأنه لا توجد ممتلكات تخصه ، كما أنه لم يلتحق بالجيش ، ونتعهد في حالة سمعنا أنه التحق بالجيش سوف نخبرك فإذا كنا صادقين في قسمنا ستكون أمورنا علي ما يرام وإذا كان قسمنا زوراً فالعكس (والباقي مفقود)[12].

هذا وقد أتجه كثير من الفارين إلي المدن اليونانية في مصر وخاصة مدينة الإسكندرية حيث كانوا يأملون في أن يختفوا في زحام هذه المدينة عن اعين جباه الضرائب. لكن هذا الأمر لم يرض ويعجب الأباطرة الرومان. ففي عام ٢١٥ م قام الإمبراطور كراكلا(٢١١-٢١٧م) بزيارة مدينة الإسكندرية .

---

[12] نفتالي لويس ، *مصر الرومانية . الحياة في مصر تحت حكم الرومان* ، ترجمة فوزي مكاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤، ص ١٩٢.

وخلال هذه الزيارة لاحظ زيادة عدد الفلاحيين الفارين من قراهم إلي مدينة الإسكندرية. فما كان منه إلا أن أصدر مرسوماً [١٣] نص في محتواه علي طرد الريفيين الذين فروا إلي الإسكندرية من مناطق أخري. لأنه كان يري أن ذلك يؤدي إلي حالة من الزحام و الفوضى بالمدينة.

ومع تزايد حالات هروب المواطنين من موطنهم بسبب عجزهم عن دفع ما عليهم من ضرائب قامت الحكومة الرومانية في مصر بالأقدام علي إجراء كحل للمشكلة . ولكن في حقيقة الأمر هذا الإجراء زاد من حدة المشكلة وتفاقمها بدلاً من أن يكون حلاً لها كما كانت تفترض الإدارة الرومانية في مصر . وهذا الحل تمثل في الأخذ بمبد أ المشاركة الجماعية أو الشراكة في مبدأ المسئولية الجماعية فلجأت إلي فرض ضريبة سميت باسم " ضريبة العجز في تسديد الضرائب "

وهي ضريبة مؤقته ومتغيرة فرضت بسبب هروب الفلاحين دون سداد ما عليهم من ضرائب مما سبب عجز في قوائم الدخل من الضريبة العامة، خاصة وأن العديد من بلاغات الهروب تذكر في نصوصها :- " أن الهارب لم يترك شيء ذا قيمة أو لم يترك شيئاً علي الإطلاق". ومن ثم يوزع العجز علي باقي دافعي الضرائب الآخرين في القرية أو المدينة المعنية بالأمر. ولهذا الأمر فهي ضريبة مؤقتة وغير ثابتة فهي قد تقل وقد تزيد من عام لآخر حسب حالات هروب الفلاحين ، ولكنها كانت تصل إلي أدني قدر لها قبل إجراء التعداد

[13] *P.Giss* , 40, II (A.D 215)

وحصر الممتلكات . إذا بلغت بعد إعلان الإحصاء نصف دراخما فقط وثلاثة أوبولات . وذلك لأن الوالي كان يصدر فرماناً بالعفو التام عن الهاربين إذا عادوا لمواطنهم الأصلي خلال فترة معينة كإغراء للفارين علي العودة إلي ديارهم نظراً للتأثير الشديد لهذه الظاهرة علي جباية الضرائب والخسارة التي تلحق بالخزانة العامة للدولة .أما في وثائق القرن الثاني الميلادي حيث شاعت وتفاقمت ظاهرة الهروب فقد بلغت هذه الضريبة أعلي معدل لها وهو ثمانية دراخمات أضيفت علي كل دافع ضريبة [١٤].

وقد صور لنا الكاتب اليهودي فيلون(توفي بعد عام ٤٠ م بقليل) أصداء تطبيق هذه الإجراءات من قبل الإدارة الرومانية في مصر قائلاً: –" أنه في حالة عدم وجود أقارب لدي الهارب فإن المسئولية كانت تمتد لتشمل الجيران بل كل سكان القرية . حيث كان الجباة يقومون بتعذيبهم حتي الموت مما كان يضطر هؤلاء إلي الانتحار خوفاً من شدة العقاب الذي قد ينزل بهم [١٥] " .

---

[١٤] سيد الناصري، *المرجع السابق* ، ص ٣٤٣.

[15] Phlion , *On special Laws , BK . 3, ch .31.*
P. Mich , 529 , as revised in CdE , 50 , (1975) 202-6.

ترجمة : ابو اليسر فرج ، *الدولة والفرد : ظاهرة الهروب من الموطن في عصر الرومان*، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٩، ص١٠٥.

كما أشار أحد سكان مديرية أرسينوي في القرن الثاني الميلادي في رسالة شخصية[١٦] له إلي أن:- موظفي المديرية أخذوا في ملاحقته بسبب هروب والده . وقد أكد هذا الشخص في رسالته أنه لا يمكنه البقاء في المديرية في حالة تأكد هروب والده . وأنه ينوي الهروب إلي الإسكندرية حتي يختفي في زحامها عن أعين جباه الضرائب في حالة تأكده من استمرار هروب والده حتي لا يقع عليه ما كان علي والده من التزامات وضرائب تجاه الدولة .

وتضمنت أيضاً وثيقة [١٧]يعود تاريخها إلي عام ١٧٥م تعهداً كتبه شخص إلي موظفي التعداد أشار فيه : إلي هروب أخيه . ثم قدم بياناً بالممتلكات التي تخصه هو واخته وتعهدا هو واخته علي أن يقوما بدفع الضرائب المستحقة للدولة علي اخيهما الهارب.

وترصد احدى الوثائق البردية [١٨] التي يرجع تاريخها إلي عام ١٩٣م شكوي فلاح من الضرائب المضافة عليه لسد العجز الناتج عن هروب البعض دون تسديد ما عليهم من ضرائب حيث جاء بها التالي :-

إلي أمونيوس باترنوس Αμμονιος Πατερνυς، قائد مئة . من سيروس بن سيريون Συρος των Συριον الذي يعرف أيضاً بتيركاس Πετερκας، من العاصمة (أرسينوي) . أنا واخي سلمنا

[16] *P . Phil.*, 33 (A.D 1- 100)
[17] *BGU* , II,447(A.D 27 Nov; 175, Karanis)
[18] *BGU* , 515 = *Select Papyri* , 286, (A.D 193 ,)

في شهر بؤونة كل الضرائب التي ندين بها حبوباً وكذلك تسعة من أصل العشرة أرادب المضافة علينا في قرية كرانيس. والآن وبسبب الإردب المتبقي ، اقتحم جباة ضرائب القمح " بيتيسيوس بن توكيلو Πετεεσιος των Τοκελο، و سارابيون بن مارون Πτολεμαιος Σαραπιον Μαρον ، وكاتبهما بطليموس فضلا عن مساعدهما أمونيوس منزلي بينما كنت أنا مشغولاً بعملي في الحقل ، ومزقوا عباءة أمي وألقوا بها أرضاً . ونتيجة لذلك لازمت الفراش . وأصبحت عاجزة عن الحركة لذا أطلب أن يتم استدعاؤهم أمامك . بحيث احصل علي العدالة علي يديك (التوقيع والتاريخ)....".

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن الأخذ بمبدأ المسئولية الجماعية وتطبيقها في مصر كان من أكثر النظم التي ادخلها الرومان ظلماً علي سكان مصر . وأن الأخذ بهذا المبدأ في مسألة هروب المواطنين من موطنهم بسبب كثرة الضرائب و الأعباء الإلزامية المفروضة عليهم والعمل علي ملاحقة أقاربهم وجيرانهم وسكان باقي القرية التي ينتمي لها الهارب وإجبارهم علي دفع ما علي أقاربهم الهاربين من ضرائب والقيام بما عليهم من اعباء و واجبات تجاه الدولة كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلي تزايد عدد حالات الهروب بدلاً من الحد منها ومعالجتها كما كانت تعتقد الإدارة الرومانية في مصر حينما أقدمت علي

تطبيقها . وهذا أن دل علي شيء فإنما يدل علي عجز وفشل الإدارة الرومانية في مصر في معالجة وحل الأزمات والمشكلات التي كانت تواجهها .

ونتيجة لهذه السياسة التي كانت تتبعها الإدارة الرومانية في مصر في علاج ظاهرة الهروب من الموطن والتي تتمثل في الأخذ بمبدأ المشاركة الجماعية أصبح الأمر بالنسبة لكثير من القرويين بمثابة كفاحاً دائماً من أجل الوفاء بالالتزامات. ومتأخرات عام أو أكثر مسجلة في الوثائق شأنها شأن المبالغ المدفوعة في الميعاد المحدد. ومن هنا زادت أعداد الالتماسات التي تقدم بها الفلاحين والتي يطالبون فيها الإعفاء من إجبارهم علي دفع الضرائب المستحقة علي الآخرين .

واستجابة لهذه الالتماسات و الشكاوى الكثيرة التي تقدم بها الفلاحين البؤساء قام كلاً من الإمبراطورين سبتميوس وابنه كراكلا بإصدار مرسوم عام ٢٠٠م وكان نصه كالتالي :-

"حيث أن الكثيرين لا يزالون يطلبون في التماساتهم بالإعفاء من إجبارهم علي دفع الضرائب المستحقة علي الآخرين كما لو كانوا ضامنيهم خلافاً لما سبق أن قررناه فإننا نشعر بأنه من الضروري أن نؤكد قرارنا الذي سبق أن أصدرناه في هذا الصدد ..... بأنه لا يجب إجبار شخص علي دفع الضرائب المستحقة علي الآخرين . ولذلك لا يجب إجبار الأب علي دفع الضرائب المستحقة علي ابنه أو إجبار الابن علي دفع الضرائب المستحقة علي أبيه ، ولا أن يجبر أي

شخص علي دفع الضرائب المستحقة علي شخص آخر ولا أن يحل شخص محل شخص آخر في دفع الضريبة "[١٩].

ويفهم من نص المرسوم السابق أن الإمبراطورين سبتميوس وكركلا قد سبق وأصدرا مرسوماً يتضمن هذا الأمر من قبل . ولكن يبدو أن موظفي الإدارة الرومانية في مصر لم يراعوا تطبيق القرار واستمروا في أساليبهم التعسفية من أجل استخلاص ضرائب الهاربين من ذويهم وأقاربهم بشتي الوسائل الممكنة وغير الممكنة علي نحو ما كان يحدث في القرن الأول وفقاً لما ذكره " فيلون " في هذا الصدد . وإزاء ذلك رأي الإمبراطوران ضرورة إعادة تأكيد المرسوم السابق بمرسوم جديد لكي يتوقف الموظفون عن اللجوء إلي مثل هذه الأساليب التي كانت لا تزال موضع شكوي الأهالي كما ذكر الإمبراطوران في مرسومهما السابق.

كما يفهم أيضاً من هذا المرسوم أن الإمبراطورين استطاعا أن يضعا يدهم علي واحده من أهم أسباب هروب الأهالي من مواطنهم ألا وهي تطبيق

---

[19] *P . Mich* , IX , 529, (A.D 237).

[τοῦ ἐνεστῶ]τος γ (ἔτους), κατέφυγον ἐπὶ τοὺς πόδας σου δεό[μενός σου] [τύχης τῆς λα(?)]μπροτάτης, ἐάν δό[ξ]ῃ, ἀκοῦσαί μου πρὸς [αὐτοὺς] 15[ὥστε(?) τῆς σῆς(?)] τοῦ κυρίου μου βοηθίας) δυνηθῆναί μ[ε τύχειν] [ὅπως ἀπὸ τῆς] παρανόμου ταύτης ἀναδόσεως οὕτω[ς ἀφεθεὶς(?)] [δυνηθῶ ἀμέμ]πτως ἀποπληρῶσαι τὸ τῆς προενχειρ[ισθείσης] [μοι λειτουρ]γίας βάρος καὶ ἐν τῇ ἰδίᾳ συμμένων [εἰς ἀεὶ(?)] [τῇ τύχῃ σου ε]ὐχαριστεῖν. διευτύχει.

مبدأ المسئولية الجماعية وإجبار أهالي الهارب وأقاربه علي دفع ما كان عليه للدولة من ضرائب والقيام بما كان مكلفاً به من أعباء إلزامية مما يمثل ضغط إضافي علي هؤلاء الأهالي والأقارب يضطرهم في نهاية الأمر إلي الهروب من موطنهم والألحاق بالهارب مما يؤدي إلي زيادة عدد الهاربين من مناطقهم وبالتالي يؤثر ذلك علي زراعة الأراضي الزراعية وحصيلة الضرائب ويمثل ضغطاً علي المدن وذلك لأن أعداداً كبيرة من الهاربين كانت تفضل الهروب إلي مدينة الإسكندرية للاختفاء في زحامها عن أعين جامعي الضرائب . وللعلم لو طبق هذا المرسوم كما أمر الإمبراطوران لحقق نتائج إيجابية في الحد من ظاهرة هروب الأهالي من مواطنهم وهذا ما سوف نعرفه فيما هو قادم .

للأسف لم ينجح هذا المرسوم في تحقيق الهدف الذي أصدر من أجله وما يدل علي ذلك أن الإمبراطور كراكلا أثناء زيارته الثانية للإسكندرية عام ٢١٥ م أصدر مرسوماً آخر يقضي بطرد كل الهاربين من الإسكندرية وهذا دليل قوي علي أن المرسوم الأول لم يحقق الهدف المرجو منه وأنه إذا كان قد حقق هدفه وتم عودة الهاربين إلي موطنهم فما السبب في إصدار مرسوم آخر .

وكان نص مرسوم الإمبراطور كراكلا الثاني كالتالي : –

" كل المصريين المتواجدين في الإسكندرية وبخاصة سكان الريف الذين هربوا إلي المدينة من أماكن أخري ويمكن الاستدلال عليهم بسهولة يجب العمل علي طردهم بكل وسيلة ممكنة . ويستثني من هذا القرار تجار الخنازير وملاحو السفن النيلية ، والعاملون في جلب الوقود اللازم لتدفئة الحمامات . أما الآخرون

فيجب طردهم لأنهم تسببوا في جلب المتاعب للمدينة بأعدادهم المتزايدة وعدم شغلهم لأية وظائف . وقد تنامي إلي علمنا أنه في أعياد سيرابيس وبعض الأعياد الأخرى بل وحتي في بعض الأيام العادية اعتاد المصريون علي أن يحضروا معهم الثيران أو بعض الحيوانات الأخرى بغرض تقديمها أضاحي للآلهة. ومن ثم فإنه لا يجب منعهم من الحضور لهذا الغرض . ولكن الذين ينبغي منعهم هم أولئك الذين يهربون من مواطنهم في الريف تهرباً من الأعمال الزراعية . وكذلك لا يجب منع أولئك الذين يحضرون إلي الإسكندرية بدافع الرغبة في مشاهدة عظمة المدينة أو في البحث عن حياة أكثر تحضراً أو الذين يحضرون لإنجاز بعض الأعمال المؤقتة . وهذا إلي أنه يمكن التعرف علي ناسجي الكتان المصريين من خلال لهجتهم التي تكشف بسهولة أنهم يحاولون اتخاذ مظاهر وثياب الآخرين وايضاً من خلال أسلوب معيشتهم الذي يخالف أسلوب الحياة الحضرية ويفصح عن كونهم ريفيين مصريين "[٢٠].

وترجع ملابسات إصدار هذا المرسوم إلي أن الإمبراطور كراكلا قام في عام ٢١٥م بزيارة الإسكندرية عقب الاضطرابات التي حدثت بها والتي تولي بنفسه قمعها بقسوة متناهية فيصف المؤرخ "Milne" ذلك الوضع قائلاً : " كان الإمبراطور يستعد للقيام بحملة ضد بارثيا لكن الاضطرابات التي وقعت في الإسكندرية اضطرته إلي تأجيل الحملة إلي العام التالي ليتولى بنفسه إخماد تلك الاضطرابات وليلقن السكندريين درساً قاسياً بسبب ما قاموا به من اضطرابات .

[20] *P . Giss* , II , 40 , (A.D 215)

وعندما أقترب من المدينة ذهب إليه وفد من كبار رجالها لتحيته واستقباله كما جرت العادة . فأمر بإلقاء القبض عليهم وقتلهم ثم أعمل السيف في رقاب سكان المدينة واستمر ذلك بضعة أيام استباح خلالها رجال المدينة ، ثم قام بعد ذلك بإصدار هذا المرسوم "[٢١].

وكان الإمبراطور كراكلا يهدف من وراء إصدار هذا المرسوم إلي تحقيق الاستقرار في المدينة والعمل علي طرد سكان الريف الذين هربوا من موطنهم وأقاموا في الإسكندرية لكي يعودوا مرة أخري إلي مواطنهم ويستأنفوا العمل في مزارعهم التي هجروها . كما يقومون بأداء التزاماتهم للدولة من ضرائب وإيجارات وأعباء الزامية من أجل استمرار دوران عجلة الحياة كما كانت فيما سبق .

وخلاصة القول أن أهمية مصر الاقتصادية هي التي شجعت روما علي احتلال مصر للاستفادة من خيرات هذه البلاد . وفي سبيل تحقيق هذه الاستفادة أستخدم رجال الإدارة الرومانية كافة الأساليب الممكنة وغير الممكنة غير مباليين بأحوال أهالي البلاد وما قد يترتب علي هذه السياسة الاستغلالية من نتائج وخيمة تؤدي إلي انهيار البلاد وفقدها لقيمتها الاقتصادية وهذا ما حدث في مصر من جراء تطبيق السياسة الاقتصادية الجائرة من قبل رجال الإدارة الرومانية وذلك رغم إصدار الأباطرة مراسيم وقرارات للحد من المشكلة و علاجها ولكن دون جدوي بسبب سوء إدارة الموظفين .

---

[21] Milne.J .G , *Egypt under The Roman Rule* , London ,1912 , PP . 71-72.

قائمة المراجع والمصادر :-

أولاً المصادر البردية :-

الوثائق البردية هي المصدر الرئيسي الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة . ومعظم ما تم الاعتماد عليه من وثائق بردية في هذه الدراسة تم الرجوع إليها من خلال المواقع التالية :-

- Checklist of Editions of Greek, Latin, Demotic and Coptic Tablets.

http://library.duke.edu/rubenstein/scriptorium/papyrus/texts/clist__papyri.html. Papyri . info.

وهي علي النحو التالي:-

BGU = Aegyptische Urkunden aus den Staatlichen Museen zu Berlin, Griechische Urkunden . 18 Vols . Berlin (1895- 2001).

P.Giss. =*Griechische Papyri imMuseum des oberhessischen Geschichtsvereins zu Giessen*, ed. O. Eger, E. Kornemann, and P.M. Meyer. Leipzig-Berlin 1910—1912. Pt. I, nos. 1—35 (1910); Pt. II, nos. 36—57 (1910); Pt. III, nos. 58—126 (1912). [Rp. CG].

P. Mich = Michigan PaPyri .at Present 19 Vols. Ed An Arbor and Toronto (1931-1999).

P. Oxy. = The Oxyrhynchus PaPyri , Published by The Egypt Society as Graeco Roman Memoirs ,68 Vols (1898-2003).

P.Phil. = *Papyrus de Philadelphie*, ed. J. Scherer. Cairo 1947. (Publ.Soc.Fouad VII). Nos. 1—35. [MF 2.94].

SB . = Sammelbuch Griechische Urkunden aus Aegypten , 24 Vols., ed. F. Preisigke and oters (1915-2003).

ثانياً المراجع العربية والمعربة :-

١-**أبو اليسر فرح :-** *الدولة والفرد . ظاهرة الهروب من الموطن في عصر الرومان* ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٩.

٢-**أحمد صالح أحمد** : *تاريخ النظام الضريبي في مصر من الإسكندر الأكبر إلي الفتح العربي* ، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية ، جامعة المنوفية ، كلية الحقوق ، مجلد ٢٧ عدد ٤٥، مايو ٢٠١٧.

٣-**جونيفيف هوسون و دومينيك فالبيل**:- *الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة إلي الأباطرة الرومان* : ترجمة فوزي الدهان ، القاهرة ١٩٩٥.

٤-**سيد الناصري** : *الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار(٣٠ق.م -٦٤١م)* ، دار النهضة العربية ،١٩٩٥

٥-**نفتالي لويس** : *مصر الرومانية . الحياة في مصر تحت حكم الرومان* ، ترجمة فوزي مكاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤.

ثالثاً المراجع الأجنبية :-

1-Milne.J .G: *Egypt under The Roman Rule* , London ,1912.

2- N. Lewis, *The Compulsory Public Services of Roman Egypt*. Papyrologica Florentina a Curadi RosarioPintaudi, Vol.XI, Firenze(1982).